جامعة دمشق – كلية الآداب – قسم الفلسفة

محاضرة فكر عربي معاصر

محاضرة (٣ + ٤)

عنوان المحاضرة: الشرق الأوسط الكبير

محاضرة ٢٠٢٠/٤/١

محاضرة ٢٠٢٠/٤/٨

أ.د. فارس النداف

2004

مقدمة

أصول الشرق الأوسط الكبير

ديباجة المشروع

تشجيع الدِّيمُقراطيَّة والحكم الصالح

بناء مجتمع معرفي

توسيع الفرص الاقتصادية

مناقشة

خاتمة

ظهر لاول مرة اصطلاح الشرق الاوسط كما بين سعيد مرقص في كتابه (الحماية والعقاب) وكان ذلك على لسان احد ضباط البحرية الامريكية عام 1902 الذي أكد توصيفاً سياسياً يستهدف تغييب حقيقة الوطن العربي بوصفه كتلة بشرية مميزة بثقافتها وعاداتها وموقعها الجغرافي بالاضافة الى أطراف اخرى اليها مثل تركيا وايران واسرائيل لاحقاً لجعل المنطقة لا تجمع بشيء واحد

مشروع الشرق الأوسط الكبير امتداد للشرق الأوسط مع إضافات التّطورات التي حصلت طيلة القرن العشرين، والاستفادة من إخفاقات الغرب في تنفيذ مشروعه، والاستفادة مما نجحوا في الاستفادة منه في محاولاتهم وتجاربهم السابقة.

مقدّمة

شأن أي فكرةٍ لم يخلُ مشروع الشّرق الأوسط الكبير من اجتهاداتٍ واختلافاتٍ في أصوله وأوّل مرّةٍ طرح فيها ومن طرحها. وإذا كان الخلاف في بعض الأحيان في مثل هذه الأمور لا يقدِّم ولا يؤخِّر فإنّ تحديد فكرة الشّرق الأوسط الكبير وبُعدها التّاريخيّ أمرٌ يدعم الكثير من المناقشات التي يمكن أن تثار في الموضوع، لأنّ الظنّ أنّ هذه الفكرة أتت هكذا بغتةً يسطّح المشكلة ويفقدها بعدها الحقيقيّ ومراميها وغاياتها البعيدة المدى من جهة الأساس والتّأسيس والغاية.

يربط الكثيرون ظهور فكرة الشّرق الأوسط الكبير بظهور ورقة هذا المشروع الذي مرّرت نشره الإدارة الأمريكيّة بعد إعلان الرّئيس الأمريكيّ **جورج بوش الابن** ذلك في الثّاني عشر من شباط ٢٠٠٤م. وهذا الرّبط في حقيقة الأمر خاطئ تماماً من ناحية بداية ظهور المشروع، ومن ناحية تاريخيّة الفكرة. فما هي أصول هذا المشروع؟

أصول الشرق الأوسط الكبير

من ناحية تاريخيّة الفكرة لا بُدَّ من الرّبط بَيْنَ الشّرق الأوسط أو الشّرق أوسطيّة من جهة أولى والشّرق الأوسط الكبير من جهةٍ ثانيةٍ. فالشّرق الأوسط في الفكر الغربيّ التّقليديّ هو الاصطلاح المصطنع لآسيا تحديداً ويضمُّ دول آسيا العربيّة والباكستان وأفغانستان ودول آسيا الوسطى. والشّرق الأوسط بهذه القسمة له تتمات في هذا الشّرق هي الشّرق الأدنى والشّرق الأقصى. وكان المقصود بتسمية الشّرق الأوسط التّعامل مع هذه المنطقة تعاملاً غَيْرَ قوميٍّ لسهولة ضمّ الكيان الصهيوني إليها والقيام من ثَمَّ بهضم هذا الكيان.

فكرة الشَّرق الأوسط بهذا الطَّرح المضمر لضمّ الكيان الصِّهيونيّ باءت بالإخفاق، وتبين عدم جدواها، وأكّد إخفاقها الذَّريع الشَّعب المصريُّ المقيَّد بالعلاقات التَّطبيعيَّة الكثيرة والقويَّة مع الكيان الصِّهيونيّ ولكنَّهُ مع ذلك لم يتمكَّن من هضم الكيان الصِّهيونيّ، وظلَّ التَّطبيع مقتصراً على الطَّابع الرَّسميّ أو الحكوميّ والقليل القليل ممن باعوا الهويَّة لغَرَضٍ بخس.

عندما انكشفت هذه الحقيقة وتأكّدت للدَّوائر الأمريكيَّة المختصَّة وللكيان الصِّهيونيّ بدأ التَّفكير في المشروع البديل الذي يمكن من خلاله تسويق الكيان الصِّهيونيّ في المنطقة وهضمه.

ولذلك ليس من الخطأ الظَّنُّ أو حَتَّى الاعتقاد بأنَّ فكرة الشَّرق الأوسط الكبير ليست بالجديدة أبداً ولكِنَّها لم تتحدَّد في الصِّيغة المرسومة إلا في السَّنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، أو رُبَّما السَّنوات الأخيرة من القرن العشرين. بل من شبه المؤكَّد أن هذه الفكرة قد أخذت أبعادها الرَّئيسة قبل الحادي عشر من أيلول ٢٠٠٠م، ورُبَّما، وهذا ظنٌّ بل اعتقادٌ خاصٌّ، يكون الحادي عشر من أيلول جزءاً من هذا المشروع، إذ بعد أشهرٍ قليلةٍ من الحدث خرجت علينا الإدارة الأمريكيَّة بدعوى تجفيف منابع الإرهاب الماديَّة والمعنويَّة والثَّقافيَّة والرُّوحانيَّة، وبدأت منذ أواسط عام ٢٠٠١م بمطالبة الدُّول العربيَّة بتعديل مناهج التَّربية والتَّعليم، وخاصَّة التَّربية الدِّينيَّة والوطنيَّة والقوميَّة، محدِّدة طلباتها بإلغاء التَّربية القوميَّة، وإلغاء فكرة العروبة، وحذف بعض الآيات الدِّينيَّة من المناهج الدِّراسيَّة، وعلَّقنا حينها بأنَّها قد تطالب لاحقاً بحذفها من القرآن ذاته، ولم يبتعد تعليقنا عن الواقع إذ ظهر في أواخر عام ٢٠٠٤م ما سُمِّي القرآن الصَّحيح، أو الفرقان الحقيقي، الذي كان استنساخاً للإنجيل والتَّوراة بلفظ يشبه اللفظ القرآني. وطالبت بوضع مقرَّرٍ بديلٍ عن كلّ ذلك هو: تربية التَّسامح، الذي سرعان ما طبقته مصر. وتسعى بعض الدُّول العربيَّة إلى تطبيقه بطريقة أو بأخرى.

رُبَّما يكون أوَّل تداولٍ علنيٍّ كبيرٍ لفكرة الشَّرق الأوسط الكبير على إثر الإعلان الصَّارخ الذي طرحه وزير الخارجيَّة الأمريكي **كولن باول** بعد سقوط بغداد بأشهرٍ قليلةٍ وكأنَّهُ تعبيرٌ عن نشوة النَّصر وتجسيدٌ للعنجهيَّة الأمريكيَّة التي تريد إعادة صوغ العالم بما يتوافق مع رغباتها ومصالحها. ولكن هل كان **باول** أوَّل من طرح هذه الفكرة؟

لا شكَّ في أنَّ طرحه هذا هو الإعلان الكبير لتداولها إعلاميًّا وسياسيًّا، ولكن إذا رجعنا إلى عام ٢٠٠٠م، وتحديداً إلى ربيع هذا العام لوجدنا المجلَّة العسكريَّة الأمريكيَّة (فصليَّة القوَّات المشتركة ــ Joint Force Qurterly)» التي نشرت في ربيع ٢٠٠٠م مقالة بعنوان: **الشَّرق الأوسط الكبير**، ذكرت فيه «أنَّ إضافة تركيا وباكستان وأفغانستان والقرن الأفريقي إلى ما يسمَّى الشَّرق الأوسط تحقّق للولايات المتحدة السَّيطرة التَّامَّة على النِّفط وتطوير مبدأ التَّدخُّل العسكري الأمريكيِّ؛ برًّا وجوًّا وبحراً في أيِّ مكان من العالم، كما تحقّق ضمان أمن إسرائيل وتفوقها وسيطرتها على المنطقة»[٧].

وفي آب من عام ٢٠٠٢م أشارت جريدة الواشنطن بوست إلى أنَّ إدارة الرَّئيس **جورج بوش الابن** تنوي بدء العمل ببرنامجٍ جديدٍ قريباً لتشجيع ما أسمته الإصلاحات السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والتَّعليمية في الشَّرق الأوسط. وسيَتَضمَّن البرنامجُ تمويلاً لصحفيين ونشطاء سياسيين[٨] (أي قِوى معارضة تندرج تحت ألوية حقوق الإنسانُ والحريَّة والدِّيمقراطيَّة). وأكَّدت الجريدة نقلاً عن مسؤولين أمريكيين قولهم: «إنَّ وزير الخارجيَّة **كولن باول** سيكشف قريباً عن هذا البرنامج الذي سيتضمَّن

---

٧ ــ الدكتور خير الدين عبد الرحمن: **من أجل استعادة الوعي العربي** ــ ضمن جريدة **البعث** ــ العدد ١٢٥٤٢ ــ الاثنين ٢٨ شباط ٢٠٠٥م.

٨ ــ خبر نشرته جريدة الواشنطن بوست يوم الأربعاء ١٤٢٣/٦/١٢هـ الموافق ٢٠٠٢/٨/٢١م. وتناقلته وكالات الأنباء العالميّة.

كذلك إعادة النَّظر في فعاليَّة معونة أجنبيَّة قدرها مليار دولار توجَّه للمنطقة تريد الإدارة تخصيصها بفعاليَّة أكبر لحفز ما تراه إصلاحات اقتصاديَّة وديمقراطيَّة[٩]. وفي الخبر ذاته علَّق مسؤولٌ كبيرٌ في الخارجيَّة الأمريكيَّة قائلاً: إنَّ هذا البرنامج تغيير تامٌّ في المعايير التي ننظر من خلالها للشَّرق الأوسط... إنَّ كيفيَّة تسيير شؤون هذه البلدان يجب أن تكون موضع اهتمامنا.

ولكن **كولن باول** لم يعلن هذا الخبر بعد أقلٍّ من شهر كما وعدت الصَّحيفة بل تأجَّل ذلك إلى ما بعد سقوط بغداد بأكثر من شهرين. وبعده بأكثر من نصف السَّنة أعلن **جورج بوش الابن** ذلك المخطَّط، أو المشروع. ومع الحرب العدوانيَّة الهمجيَّة التي شنَّها الكيان الصِّهيونيُّ على حزب الله ولبنان في تموز ٢٠٠٦م، التي ظنَّت الولايات المتَّحدة وإسرائيل وكثيرٌ من الدُّول العربيَّة معهما[١٠] أنَّ الكيان الصِّهيونيَّ سيبيد حزب الله، الأمر الذي سيؤدِّي إلى تقصير الطَّريق على تحقيق المطامع الأمريكيَّة في المنطقة راحت وزيرة الخارجيَّة الأمريكيَّة **كوندا ليزا رايس** التي خَلَفَتْ **كولن باول** تعلن مراراً أنَّ هذه الحرب هي بداية تحقُّق مشروع الشَّرق الأوسط الكبير، وأنَّ الحرب لن تنتهي إلا ببداية انطلاق مشروع الشَّرق الأوسط الكبير، وعبارتها الشهير كانت: آن الأوان لتحقيق مشروع الشَّرق الكبير.

هذا المشروع لم يكن خافياً على المثقَّفين والمهتمِّين، ولذلك نشر الكاتب الأمريكيُّ **وليام فاف**، قبل الحرب على العراق، مقالاً قال فيه: «إنَّ الحرب ضدَّ

---

٩ ــ م. س ــ ذاته.

١٠ ــ الطريف العجيب الغريب أنَّ كثيراً من الدُّول العربيَّة طلبت من إسرائيل عدم إيقاف الحرب إلا بالقضاء على حزب الله وإبادته، وراحت تتوسل في مراحل الحرب المختلفة لأمريكا أن تضغط على الكيان الصهيوني وتمده بالسلاح كي لا يخسر الحرب أمام حزب الله، ولم يوقف الكيان الصهيوني هذا العدوان لولا أنَّهُ كانت تزداد خسائره وتظهر هزيمته أكثر فأكثر حتَّى بدت الهزيمة واضحة جدًّا في الأيام الأخيرة ولم يعد الكيان الصهيوني قادراً، بمعنى من المعاني، على مواصلة الحرب واستمرار الهزيمة.

العراق تدخل في إطار خطّةٍ بعيدة المدى لإعادة تشكيل خريطة العالم الإسلاميِّ واستبدال الحكومات الموجودة في المنطقة كافّةً»[11]. وكذلك نشر الكاتب البريطانيُّ **باتريك سيل** مقالاً قال فيه: «إنَّ المتطرِّفين حول **بوش** مع **شارون** يرون أنَّ هذه الحرب ستكون فرصةً لإعادة ترتيب الجوار الإسرائيليِّ»[12]. وقد علّق **وليام بيكر**[13] على ذلك قائلاً: «أعتقد أنَّ هذا جزءٌ لا يتجزأ من خطّة، ولكن ما هو أكبر حَتَّى من ذلك هو أنَّ المفهوم الغربيَّ للإمبرياليَّة والاستعمار الجديد يريد أن يعيد ترتيب الوضع في مختلف البلدان في المنطقة من أجل السَّيطرة على النِّفط والغاز وموارد الطَّاقة في المستقبل، هذه هي السِّيادة في مفهومها الحقيقي. أي لن يكون هناك منظمة أوبك بإمكانها أن تهدِّد الأمريكان كما فعل الملك **فيصل** في عام ٧٣، سيكون بإمكاننا أن نحصل على كلِّ البترول والبنْزين الذي نريده»[14].

هذه أصول مشروع أو مخطّط الشَّرق الأوسط الكبير. مع بعض الأفكار التي تضمَّنها هذا المشروع وَفْقَ بعض التَّحليلات الاستباقيَّة، ووَفْقَ ما أريد إعلانه من غرض هذا المشروع، وهذا ما سنعود إليه بالمناقشة بعد عرض ورقة هذا المشروع إلى جانب الحواشي التي سنعلق بها على النَّص.

سرَّبت الإدارة الأمريكيَّة ورقة هذا المشروع بعد إعلان الرَّئيس **بوش الابن** عنه بساعاتٍ، وَتَمَّ الأمر وكأنَّ الورقة تسربت تسريباً وأنَّها وثيقةٌ سريَّةٌ، ولكن هذا دأب الإدارة الأمريكيَّة وأسلوبها الذي لم تعرف بعد كيف تغيِّره، وربَّما لأنَّهُ الأجدى.

---

١١ ــ أحمد منصور: **المخطط الأمريكي الجديد تجاه الدول العربية والإسلامية؛ لقاء مع وليام بيكر** ــ برنامج بلا حدود ــ محطة الجزيرة ــ يوم الأحد ١٤٢٣/٨/٢٠هـ ــ الموافق ٢٠٠٢/١٠/٢٧م.

١٢ ــ م. س ــ ذاته.

١٣ ــ مؤسس ورئيس مركز مسيحيون ومسلمون من أجل السَّلام.

١٤ ــ وليام بيكر: اللقاء السابق.

نشرت وثيقةَ المخطَّط العديدُ من وسائل الإعلام، ومنها جريدة الحياة اللندنيَّة، التي نشرته تحت عنوان وثيقة إصلاح التَّعليم الأمريكيِّ، بناءً على استنتاجها أنَّ المشروع كلُّه يقوم على إصلاح التَّعليم في (الشَّرق الأوسط الكبير)، وهذه الوثيقة طويلةٌ نسبيًّا تقع في نحو اثني عشر صفحةً من القطع العادي والخط العادي[١٥].

ديباجة المشروع

يمثِّل (الشَّرق الأوْسَط الكبير)[١٦] تحدِّيًا وفرصةً فريدةً للمجتمع الدُّولي. وساهمت (النواقص) الثَّلاثة الَّتي حدَّدها الكُتَّابُ العرب لتقريري الأمم المتحدة حول التَّنميَة البشريَّة العَرَبيَّة للعامين ٢٠٠٢ و٢٠٠٣م؛ الحريَّة، المعرفة، وتمكين النِّساء، في خلق الظُّروف الَّتي تهدِّد المصالح الوطنيَّة لكلّ أعضاء مجموعة الثَّمانية[١٧]. وطالما تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السِّياسيَّة والاقتصاديَّة في المنطقة، سنشهد زيادةً في التَّطرُّف والإرهاب والجريمة الدُّوليَّة والهجرة غَيْر المشروعة. إنَّ الإحصائيَّات الَّتي تصف الوضع الحالي في الشَّرق الأوْسَط الكبير مروِّعة:

- مجموع إجمالي الدَّخل المحلِّي لبلدان الجامعة العَرَبيَّة الـ٢٢ هو أقلُّ من نظيره في إسبانيا .
- نحو ٤٠% من العرب البالغين، أي ٦٥ مليون شخص، أمِّيون، وتشكِّل النِّساء ثلثي هذا العدد.

---

١٥ ــ جريدة الحياة: نص مشروع «الشرق الأوسط الكبير» الذي ستقدمه واشنطن في قمة الدول الثماني ــ الحياة ــ لندن ــ ١٣ شباط ٢٠٠٤م.

١٦ ــ يشير (الشَّرق الأوْسَط الكبير) إلى بلدان العالم العربي، زائداً باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل (الحاشية من جريدة الحياة التي اعتمدنا ترجمتها لورقة مشروع الشرق الأوسط الكبير).

١٧ ــ مجموعة الثانية هي الدول الصناعية السبع: الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وكندة، والثامنة هي روسيا الَّتي انضمت إليها مؤخراً فصار اسمها مجموعة الثمانية.

● سيدخل أكثر من ٥٠ مليونا من الشَّباب سوق العمل بحلول ٢٠١٠م، وسيدخلها ١٠٠ مليون بحلول ٢٠٢٠م. وهناك حاجة لخلق ما لا يقلُّ عن ٦ ملايين وظيفة جديدة لامتصاص هؤلاء الوافدين الجدد إلى سوق العمل.

● إذا استمرَّت المعدلات الحاليَّة للبطالة، سيبلغ معدل البطالة في المنطقة ٢٥ مليوناً بحلول ٢٠١٠م.

● يعيش ثلث المنطقة على أقلّ من دولارين في اليوم. ولتحسين مستويات المعيشة، يجب أن يزداد النُّمو الاقتصادي في المنطقة أكثر من الضّعف من مستواه الحالي الذي هو دون ٣% إلى ٦% على الأقل.

● في إمكان ٦.١% فقط من السُّكان استخدام الانترنت، وهو رقمٌ أقلُّ ممَّا هو عليه في أيِّ منطقة أخرى في العالم، بما في ذلك بلدان إفريقيا جنوب الصَّحراء الكبرى.

● لا تشغل النساء سوى ٥.٣% فقط من المقاعد البرلمانيَّة في البلدان العَرَبيَّة، بالمقارنة، على سبيل المثال، مع ٤,٨ في المئة في إفريقيا جنوب الصَّحراء الكبرى.

● عَبَّر ٥١% من الشُّبَّان العرب الأكبر سِنًّا عن رغبتهم في الهجرة إلى بلدان أخرى، وفقاً لتقرير التَّنمية البشرية العَرَبيَّة للعام ٢٠٠٢م، والهدف المفضل لديهم هو البلدان الأوروبيَّة.

وتعكس هذه الإحصاءات أنَّ المنطقة تقف عند مفترق طرق. ويمكن للشَّرق الأوْسَط الكبير أن يستمرَّ على المسار ذاته، ليضيف كلَّ عامٍ المزيد من الشَّباب المفتقرين إلى مستوياتٍ لائقةٍ من العمل والتَّعليم والمحرومين من حقوقهم السِّياسية. وسيمثِّل ذلك تهديداً مباشراً لاستقرار المنطقة، وللمصالح المشتركة لأعضاء مجموعة الثماني.

البديل هو الطَّريق إلى الإصلاح. ويمثل تقريرا التّنميَة البشريَّة العَرَبيَّة نـداءاتٍ مقنعةً ومُلِحَّةً للتّحرك في الشَّرق الأوْسَط الكبير. وهي نـداءات يردِّدهـا نشـطاءُ وأكاديميون والقطاع الخاصُّ في أرجاء المنطقة. وقد استجاب بعض الزُّعماء في الشَّرق الأوْسَط الكبير بالفعل لهذه النداءات واتّخذوا خطواتٍ في اتجاه الإصلاح السِّياسيِّ والاجتماعيِّ والاقتصاديِّ. وأيّدت بلدان مجموعة الثّماني، بـدورها، هـذه الجهـود بمبادراتها الخاصَّة للإصلاح في منطقة الشَّرق الأوْسَط. وتُبيِّن (الشَّـراكة الأوروبيَّـة المتوسطيَّة)، و(مبادرة الشَّراكة بَيْنَ الولايات المتحدة والشَّرق الأوْسَط)، وجهود إعادة الإعمار المتعدِّدة الأطراف في أفغانستان والعراق التزام مجموعة الثّماني بالإصـلاح في المنطقة.

إنَّ التَّغيُّرات السُّكانيَّة المشار إليها أعلاه، وتحرير أفغانستان والعراق من نظامين قمعيين، ونشوء نبضات ديموقراطيَّة في أرجاء المنطقة بمجموعها، تتيح لمجموعة الثّماني فرصة تاريخيَّة. وينبغي للمجموعة، في قمتها في سي آيلاند، أن تصوغ شراكةً بعيـدةَ المدى مع قادة الإصلاح في الشَّرق الأوْسَط الكبير، وتطلـق ردًّا منسَّـقاً لتشـجيع الإصلاح السِّياسيِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيِّ في المنطقة. ويمكن لمجموعة الثمـاني أن تتّفق على أولويّاتٍ مشتركةٍ للإصلاح تعالج النّواقص الّتي حدَّدها تقريرا الأمم المتحدة حول التّنميَة البشريَّة العَرَبيَّة عبر:

- **تشجيع الدِّيمُقراطيَّة والحكم الصالح.**
- **بناء مجتمع معرفي.**
- **توسيع الفرص الاقتصادية.**

وتمثّل أولويّات الإصلاح هـذه السَّـبيل إلى تنميـة المنطقـة: **فالدِّيمُقراطيَّـة والحكم الصَّالح** يشكّلان الإطار الذي تتحقّق داخلـه التّنميَـة، والأفـراد الـذين يتمتعون بتعليمٍ جيّدٍ هم أدوات التّنميَة، والمبادرة في مجال الأعمـال هـي ماكينـة التّنميَة.

تشجيع الدِّيمُقراطيَّة والحكم الصالح

«توجد فجوةٌ كبيرةٌ بَيْنَ البلدان العَرَبيَّة والمناطق الأخرى على صعيد الحكم القائم على المشاركة... ويضعف هذا النَّقص في الحريَّة التَّنميَة البشريَّة، وهو أحد التَّجليَّات الأكثر إيلاماً للتَخلُّف في التَّنمية السِّياسيَّة»[١٨].

إنَّ الدِّيمُقراطيَّة والحريَّة ضروريتان لازدهار المبادرة الفرديَّة، لكِنَّهما مفقودتان إلى حدٍّ بعيدٍ في إرجاء الشَّرق الأوْسَط الكبير. وفي تقرير **فريدوم هاوس** للعام ٢٠٠٣م، كانت إسرائيل البلد الوحيد في الشَّرق الأوْسَط الكبير الذي صُنِّف بأنَّهُ «حرٌّ»، ووصفت أربعة بلدان أخرى فقط بأنَّها «حرُّةٌ جزئيًّا». ولفت تقرير التَّنميَة البشريَّة العَرَبيَة إلى أنَّهُ من بَيْنَ سبع مناطق في العالم، حصلت البلدان العَرَبيَّة على أدنى درجة في الحريَّة في أواخر التَّسعينيَّات. وأدرجت قواعد البيانات الَّتي تقيس «التَّعبير عن الرَّأي والمساءلة»، المنطقة العَرَبيَّة في المرتبة الأدنى في العالم. بالإضافة إلى ذلك، لا يتقدَّم العالم العربيُّ إلاَّ على إفريقيا جنوب الصَّحراء الكبرى على صعيد تمكين النِّساء. ولا تنسجم هذه المؤشِّرات المحبطة إطلاقاً مع الرَّغبات الَّتي يعبِّر عنها سكَّان المنطقة. في تقرير التَّنميَة البشريَّة العَرَبيَّة للعام ٢٠٠٣م، على سبيل المثال، تَصدَّر العرب لائحة من يؤيِّد، في أرجاء العالم، الرَّأي القائل بأنَّ «الدِّيمُقراطيَّة أفضل من أيِّ شكلٍ آخر للحكم»، وعَبَّروا عن أعلى مستوى لرفض الحكم الاستبدادي .

ويمكن لمجموعة الثَّماني أن تظهر تأييدها للإصلاح الدِّيمُقراطي في المنطقة عَبْرَ التزام ما يلي: مبادرة الانتخابات الحرَّة في الفترة بَيْنَ ٢٠٠٤ و ٢٠٠٦، أعلنت بلدان عدة في الشَّرق الأوْسَط الكبير[١٩] نيَّتها إجراء انتخاباتٍ رئاسيَّةٍ أو برلمانيَّةٍ أو بلديَّةٍ.

---

١٨ ــ الأمم المتحدة: **تقرير التنمية البشرية** ــ ٢٠٠٢م (الحاشية من الأصل).

١٩ ــ تخطط أفغانستان والجزائر والبحرين وإيران ولبنان والمغرب وقطر والسعودية وتونس وتركيا واليمن لإجراء انتخابات. (الحاشية من جريدة الحياة).

وبالتّعاون مع تلك البلدان الّتي تظهر استعدادا جديًا لإجراء انتخابات حرّةٍ ومنصفة، يمكن لمجموعة الثّماني أن تقدّم بفاعليّة مساعداتٍ لمرحلة ما قبل الانتخابات بـــ:

● **تقديم مساعداتٍ تقنيّةٍ** عَبْرَ تبادل الزّيارات أو النّدوات، لإنشاء أو تعزيـــز لجان انتخابيّة مستقلّة لمراقبة الانتخابات والاستجابة للشكاوى وتسلم التّقارير .

● **تقديم مساعدات تقنيّة لتسجيل النّاخبين** والتّربية المدنيّة إلى الحكومات الّتي تطلب ذلك، مع تركيز خاصٍّ على النّاخبات.

● **الزيارات المتبادلة والتّدريب على الصّعيد البرلمانيّ** من أجـــل تعزيـــز دور البرلمانات في دمقرطة البلدان، يمكن لمجموعة الثماني أن ترعى تبادل زيارات لأعضـــاء البرلمانات، مع تركيز الاهتمام على صوغ التّشريعات وتطبيق الإصـــلاح التّشـــريعيّ والقانونيّ وتمثيل النّاخبين.

● **معاهد للتّدريب على القيادة خاصة بالنّساء.** تشغل النّساء ٥,٣ في المئـــة فقط من المقاعد البرلمانيّة في البلدان العَرَبيّة. ومن أجل زيادة مشاركة النّساء في الحياة السّياسيّة والمدنيّة، يمكن لمجموعة الثماني أن ترعى معاهد تدريبٍ خاصّةٍ بالنّساء تقدّم تدريباً على القيادة للنّساء المهتمات بالمشاركة في التّنافس الانتخابيّ علـــى مواقـــع في الحكم أو إنشاء/تشغيل منظمّةٍ غَيْرِ حكوميّةٍ. ويمكن لهذه المعاهـــد أن تجمـــع بَـــيْنَ قياديات من بلدان مجموعة الثماني والمنطقة.

● **المساعدة القانونيّة للنّاس العاديين.** في الوقت الذي نفّذت فيه الولايـــات المتحدة والاتحاد الأوروبيُّ والأمم المتحدة والبنك الدولي بالفعـــل مبـــادراتٍ كـــثيرةً لتشجيع الإصلاح القانونيّ والقضائيّ، فإنّ معظمها يجرى على المســـتوى الـــوطني في مجالاتٍ مثل التّدريب القضائيّ والإدارة القضائيّة وإصلاح النّظام القـــانونيّ. ويمكـــن لمبادرةٍ من مجموعة الثّماني أن تكمّل هذه الجهود بتركيز الانتباه على مستوى النّـــاس العاديين في المجتمع، إذ يبدأ التّحسُّس الحقيقي للعدالة. ويمكن لمجموعة الثماني أن تنشئ

وتموّل مراكز يمكن للأفراد أن يحصلوا فيها على مشورة قانونيَّة بشأن القانون المدني أو الجنائي أو الشَّريعة، ويتصلوا بمحامي الدِّفاع (وهي غير مألوفةٍ إلى حدٍّ كبيرٍ في المنطقة). كما يمكن لهذه المراكز أن ترتبط بكليَّات الحقوق في المنطقة .

● **مبادرة وسائل الإعلام المستقلة.** يلفت تقرير التَّنميَة البشرية العَرَبيَّة إلى هناك أقل من ٥٣ صحيفةً لكلّ ١٠٠٠ مواطنٍ عربيٍّ، بالمقارنة مع ٢٨٥ صحيفةً لكلّ ألف شخصٍ في البلدان المتطورة، وأن الصُّحف العَرَبيَّة الَّتي يتمُّ تداولها تميل إلى أن تكون ذات نوعيَّةٍ رديئةٍ. ومعظم برامج التِّلفزيون في المنطقة تعود ملكيته إلى الدَّولة أو يخضع لسيطرتها، وغالباً ما تكون النَّوعية رديئةً، إذ تفتقر البرامج إلى التقارير ذات الطَّابع التَّحليلي والتَّحقيقي. ويقود هذا النَّقص إلى غياب اهتمام الجمهور وتفاعله مع وسائل الإعلام المطبوعة، ويحدُّ من المعلومات المتوافرة للجمهور.

ولمعالجة ذلك، يمكن لمجموعة الثماني أن:

● ترعى زياراتٍ متبادلةً للصحافيين في وسائل الإعلام المطبوعة والإذاعيَّة.

● ترعى برامج تدريب لصحافيين مستقلّين.

● تقدِّم زمالاتٍ دراسيَّةً لطلابٍ كي يداوموا في مدارس للصحافة في المنطقة أو خارج البلاد، وتمول برامج لإيفاد صحافيين أو أساتذة صحافة لتنظيم ندوات تدريبٍ بشأن قضايا مثل تغطية الانتخابات أو قضاء فصل دراسيٍّ في التَّدريس في مدارس بالمنطقة .

الجهود المتعلقة بالشفافية / مكافحة الفساد

حدَّد المصرف الدُّولي الفساد بوصفه العقبة المنفردة الأكبر في وجه التَّنميَة، وقد أصبح متأصلاً في الكثير من بلدان الشَّرق الأوْسَط الكبير. ويمكن لمجموعة الثَّماني[٢٠]:

---

٢٠ ــ جميل أن يحارب الفساد، وتكرس الشفافيَّة. ولكن هل الولايات المتحدة وأوروبا تريد حقًّا مكافحة الفساد في الوطن العربي وتكريس الشفافية؟!

● أن تشجع على تبني (مبادئ الشّفافيّة ومكافحة الفساد) الخاصة بمجموعة الثّماني.

● أن تدعم علناً مبادرة منظمة التّعاون والتّنميّة الاقتصاديّة/ برنامج الأمم المتحدة للتّنمية في الشّرق الأوْسَط ــ شمال إفريقيا، الّتي يناقش من خلالها رؤساء حكومات ومانحون وIFIs ومنظّمات غير حكوميّة استراتيجياتٍ وطنيّةً لمكافحة الفساد وتعزيز خضوع الحكومة للمساءلة.

● إطلاق واحدٍ أو أكثر من البرامج التّجريبيّة لمجموعة الثماني حول الشّفافيّة في المنطقة.

المجتمع المدني

أخذاً بعين النّظر أنّ القوّة الدّافعة للإصلاح الحقيقيّ في الشّرق الأوْسَط الكبير يجب أن تأتي من الدّاخل، وبما أنّ أفضل الوسائل لتشجيع الإصلاح هي عَبْرَ منظّمات تمثيليّة، يجب على مجموعة الثماني أن تشجّع على تطوير منظّماتٍ فاعلةٍ للمجتمع المدني في المنطقة. ويمكن لمجموعة الثماني أن[٢١]:

● تشجع حكومات المنطقة على السّماح لمنظّمات المجتمع المدنيّ، ومن ضمنها المنظمات غير الحكوميّة الخاصّة بحقوق الإنسان ووسائل الإعلام، على أن تعمل بحرية من دون مضايقةٍ أو تقييداتٍ.

---

٢١ ــ كيف يمكن أن نفهم أنّ المخابرات الأمريكية أو المؤسسات الأمريكية والأوروبية تمول مراكز أبحاث عربيّة من أجل مصلحة الوطن العربي؟ لقد تبين بالشواهد والتجربة الحية الثابتة أنّ هذه المراكز تقوم بعمليات تجسس لصالح المخابرات الأمريكية وتقوم بأعمال تخدم المصالح الأمريكية/ الأوروبية، من إثارة الفتن الطائفية والعرقيّة... و أكبر دليل على ذلك مركز ابن خلدون للدراسات الذي يديره سعد الدين إبراهيم الذي أدين بالتجسس وتنفيذ مخطط أمريكي في مصر من خلال الوثائق الموجودة في المركز، وحكم بالسجن بالأدلة، ومع ذلك فرضت الولايات المتحدة على مصر العفو عنه والسماح لمركزه بالعمل!!! وهذا التعليق ينطبق على البنود والعناصر التالية من المجتمع المدني.

● تزيد التّمويل المباشر للمنظّمات المهتمّة بالدّيمقراطيّة وحقوق الإنسان ووسائل الإعلام والنّساء وغيرها من المنظّمات غَيْرِ الحكوميَّة في المنطقة.

● تزيد القدرة التّقنيّة لمنظّماتٍ غَيْرِ الحكوميّة في المنطقة بزيادة التّمويل للمنظّمات المحليّة مثل مؤسسة وستمنستر في المملكة المتّحدة أو مؤسسة الدّعم الوطني للدّيموقراطيّة الأمريكيّة لتقديم التّدريب للمنظّمات غير الحكوميّة في شأن كيفيّة وضع برنامج والتّأثير في الحكومة وتطوير استراتيجيّاتٍ خاصّةٍ بوسائل الإعلام والنّاس العاديين لكسب التأييد. كما يمكن لهذه البرامج أن تتضمّن تبادل الزّيارات وإنشاء شبكاتٍ إقليميّةٍ.

● تموّل منظّمةً غَيْرَ حكوميّةٍ يمكن أن تجمع بَيْنَ خبراء قانونيين أو خبراء إعلاميين من المنطقة لصوغ تقويماتٍ سنويّةٍ للجهود المبذولة من أجل الإصلاح القضائيّ أو حرّيّة وسائل الإعلام في المنطقة. (يمكن بهذا الشّأن الاقتداء بنموذج تقرير التّنمية البشرية العَرَبيّة).

بناء مجتمع معرفي

«تمثّل المعرفة الطّريق إلى التّنمية والانعتاق، خاصّةً في عالمٍ يتّسم بعولمةٍ مكثّفةٍ»[٢٢]. ولقد أخفقت منطقة الشّرق الأوْسَط الكبير[٢٣]، الّتي كانت في وقتٍ مضى مهدِ الاكتشاف العلميّ والمعرفة[٢٤]، إلى حدٍّ بعيدٍ، في مواكبة العالم الحالي ذي التّوجه المعرفيّ. وتشكّل الفجوة المعرفيّة الّتي تعانيها المنطقة ونزف الأدمغة المتواصل

---

٢٢ ــ الأمم المتحدة: **تقرير التنمية البشرية** ــ ٢٠٠٢م (الحاشية من الأصل).

٢٣ ــ يجب أن ننتبه إلى التكرار في استخدام عبارة (الشرق الأوسط الكبير) لتكريسها مفهوماً وإشاعة استخدامها.

٢٤ ــ لا أظنُّ أنّ المقصود هنا هو الاعتراف بجهود الشرق وعلومه وحضارته بقدر ما هو دغدغة للمشاعر.

تحديًّا لآفاق التّنمية فيها[٢٥]. ولا يمثّل ما تنتجه البلدان العَرَبيَّة[٢٦] من الكتب سوى ١,١ في المئة من الإجماليّ العالم (إذ تشكّل الكتب الدينية أكثر من ١٥ في المئة منها). ويهاجر نحو ربع كلّ خرّيجي الجامعات، وتستورد التّقانة إلى حدٍّ كبير. ويبلغ عدد الكتب المترجمة إلى اللغة اليونانيّة (الّتي لا ينطق بها سوى ١١ مليون شخص) خمسة أضعاف ما يترجم إلى اللغة العَرَبيَّة .

وبالاستناد على الجهود الّتي تبذل بالفعل في المنطقة، يمكن لمجموعة الثماني أن تقدّم مساعداتٍ لمعالجة تحدّيات التّعليم في المنطقة ومساعدة الطُّلاب على اكتساب المهارات الضّروريّة للنّجاح في السُّوق المعولمة لعصرنا الحاضر .

مبادرة التعليم الأساسي

يعاني التّعليم الأساسيُّ في المنطقة من نقص وتراجع في التّمويل الحكوميّ، بسبب تزايد الإقبال على التّعليم متماشياً مع الضُّغوط السُّكانيَّة، كما يعاني من اعتباراتٍ ثقافيَّة تُقيِّد تعليم البنات. وفي مقدور مجموعة الـ٨ السَّعي إلى مبادرةٍ للتّعليم الأوليّ في منطقة الشّرق الأوْسَط الكبير تشمل هذه العناصر:

● **محو الأمية:** أطلقت الأمم المتحدة في ٢٠٠٣م برنامج عقد مكافحة الأمية تحت شعار: محو الأمّيَّة بوصفها حرّيَّة. ولمبادرة مجموعة الـ٨ لمكافحة الأمّيَّة أن تتكامل مع برنامج الأمم المتحدة، من خلال التّركيز على إنتاج جيلٍ متحرّرٍ من الأميَّة في الشّرق الأوْسَط خلال العقد المقبل، مع السَّعي إلى خفض نسبة الأميَّة في المنطقة إلى النّصف بحلول ٢٠١٠م. وستركّز مبادرة

---

٢٥ ــ لا بد أن نذكر هنا أنّ الغرب هو الذي يقوم بعمليات جذب وإغراء كبير للكفاءات العلمية العربيَّة خاصَّة والشرقية عامَّة من أجل الهجرة إلى الغرب، ولا ننكر أنّ هناك عوامل تهجير للكفاءات العلميَّة من قلب الشرق عامَّة والوطن العربي منه.

٢٦ ــ تثير سقطة اللسان هذه ما يؤكّد أنّ المقصود من الشرق الأوسط الكبير الوطن العربي وحده، وما إدراج الدول الأخرى إلا ضرباً من التعمية وذر الرماد في العيون.

مجموعة الثماني، مثل برنامج الأمم المتحدة، على النِّساء والبنات[٢٧]. وإذا أخذنا بعين النّظر معاناة ٦٥ مليوناً من الرَّاشدين في المنطقة من الأميَّة، يمكن لمبادرة مجموعة الثاني أن تركّز أيضا على محو الأميَّة بَيْنَ الرَّاشدين وتدريبهم من خلال برامج متنوِّعة، من مناهج تدريس على شبكة المعلومات (الإنترنت) إلى تدريب المعلمين.

● **فرق محو الأمية:** يمكن لمجموعة الثماني، سعياً إلى تحسين مستوى القراءة والكتابة لدى الفتيات، إنشاء أو توسيع معاهد تدريب المعلّمين مع التَّركيز على النِّساء، ولمعلّمات المدارس والمختصَّات بالتَّعليم القيام في هذه المعاهد بتدريب النِّساء على مهنة التعليم (هناك دولٌ تحرِّم تعليم الذُّكور للإناث)، لكي يركّزن بدورهن على تعليم البنات القراءة وتوفير التَّعليم الأوليّ لهن. للبرنامج أيضاً استخدام الإرشادات المتضمنة في برنامج التَّعليم للجميع التَّابع لليونسكو، بهدف إعداد فرق محو الأميَّة الَّتي يبلغ تعدادها بحلول ٢٠٠٨م مئة ألف معلمة.

● **الكتب التَّعليميَّة:** يلاحظ تقرير التَّنميَة البشرية العَرَبيَّة نقصاً مهمًّا في ترجمة الكتب الأساسيَّة في الفلسفة والأدب وعلم الاجتماع وعلوم الطَّبيعة، كما تلاحظ الحالة المؤسفة للمكتبات في الجامعات. ويمكن لكلٍّ من دول مجموعة الثماني تمويل برنامج لترجمة أمَّهات مؤلَّفاتها في هذه الحقول. وأيضاً، وحيث يكون ذلك مناسباً، تستطيع الدُّول أو دور النَّشر في شراكةٍ بَيْنَ القطاعين العام والخاص إعادة نشر الكتب الكلاسيكيَّة العَرَبيَّة الخارجة

---

٢٧ ــ ثمة سؤال سيطرح ذاته هنا: لماذا تريد الولايات المتحدة وأوروبا التركيز على النساء والبنات العرب في التعليم؟ ولماذا يطرح الأمر بهذه الفجاجة في ورقة مشروع الشرق الأوسط الكبير؟ الأمر بحاجة إلى وقفة وتأمل وتساؤل خاصَّة وأنّ ذلك التركيز سيتكرر مراراً في مواقع مختلفة من المشروع. على الرغم من أنّ دعم تعليم النساء والبنات ليس عيباً ولا خطأ في ذاته.

عن التَّداول حاليًّا والتَّبرُّع بها للمدارس والجامعات والمكتبات العامَّة المحليَّة[٢٨].

● **مبادرة مدارس الاكتشاف:** بدأ الأردن بتنفيذ مبادرته لإنشاء مدارس الاكتشاف حيث يتمُّ استعمال التِّقانة المتقدِّمة ومناهج التَّعليم الحديثة[٢٩]. ولمجموعة الثَّماني السَّعي إلى توسيع هذه الفكرة ونقلها إلى دولٍ أخرى في المنطقة من طريق التَّمويل، من ضمنه القطاع الخاص.

● **إصلاح التعليم:** ستقوم المبادرة الأمريكيَّة للشَّراكة في الشَّرق الأوْسَط قبل قمة مجموعة الثماني المقبلة (في آذار/ مارس أو نيسان/ أبريل) برعاية قمة الشَّرق الأوْسَط لإصلاح التَّعليم، الَّتي ستكون ملتقًى لتيَّارات الرَّأي العام المتطلِّعة إلى الإصلاح، والقطاع الخاص، وقادة الهيئات المدنية والاجتماعية في المنطقة ونظرائهم من الولايات المتَّحدة والاتِّحاد الأوروبيِّ، وذلك لتحديد المواقع والمواضيع الَّتي تتطلَّب المعالجة، والتَّباحث في سبل التَّغلب على النَّواقص في حقل التَّعليم. ويمكن عقد القمَّة في ضيافة مجموعة الثماني توخيًّا لتوسيع الدَّعم لمبادرة منطقة الشَّرق الأوْسَط الكبرى عشية عقد القمَّة.

مبادرة التعليم شبكة المعلومات

تحتلُّ المنطقة المستوى الأدنى من جهة التَّواصل مع شبكة المعلومات (الإنترنت). ومن الضَّروري تماماً تجسير الهوة الحاسوبيَّة هذه بَيْنَ المنطقة وبقيَّة

---

٢٨ ــ هذه العبارة ملغزة وغامضة ويجب الوقوف عندها مليًّا لأنّ دور النشر العَرَبيَّة جادة ومجتهدة في إعادة نشر كتب التراث بمختلف أنواعها، فما الذي يقصده المشروع بـ«إعادة نشر الكتب الكلاسيكية العَرَبيَّة الخارجة عن التداول حاليًا»؟؟. ولماذا ينبغي «التبرع بها إلى المدارس والجامعات والمكتبات العامة المحلية»، وليس طرحها في الأسواق مثلاً، أو ترك الأمر من دون تعليق وتحديد؟؟.

٢٩ ــ يجب أن نتذكر هنا أنَّ من هذه المدارس مدارس التعايش بَيْنَ اليهود (الصهاينة) والعرب عامَّة والفلسطينيين خاصَّة وهذه المدارس هي التي تريد الولايات المتحدة دعمها ونشرها، والمدارس التي تؤدي أغراض مشابهة.

العالم نظراً لتزايد المعلومات المودعة على شبكة المعلومات وأهميَّة شبكة المعلومات بالنسبة للتَّعليم والمتاجرة[٣٠]. ولدى مجموعة الثَّماني القدرة على إطلاق شراكة بَيْنَ القطاعين العام والخاص لتوفير الاتصال الحاسوبي أو توسيعه في أنحاء المنطقة، وأيضاً بَيْنَ المدن والرِّيف داخل البلد الواحد. وقد يكون من المناسب أكثر لبعض المناطق توفير الحواسيب في مكاتب البريد، مثلما يحصل في بلدات وقرى روسيا. وقد يركِّز المشروع أولاً على بلدان الشَّرق الأوْسَط الأقلّ استخداماً للحاسوب (العراق، أفغانستان، باكستان، اليمن، سورية، ليبيا، الجزائر، مصر، المغرب)، والسَّعي، ضمن الإمكانات الماليَّة، إلى توفير الاتصال بالحاسوب إلى أكثر ما يمكن من المدارس ومكاتب البريد[٣١].

ومن الممكن أيضاً ربط مبادرة تجهيز المدارس بالحاسوب ببمبادرة فرق محو الأميَّة المذكورة أعلاه، أي قيام مدرسي المعاهد بتدريب المعلمين المحليين على تطوير مناهج دراسيَّة ووضعها على شبكة المعلومات الدُّوليَّة، في مشروع يتولى القطاع الخاص توفير معدَّاته ويكون متاحاً للمعلمين والطَّلبة.

---

٣٠ ــ الحقيقة أنّ الولايات المتحدة وأوروبا لا تقصد انفتاح العرب على الإنترنت للمعرفة وإنما لتحديد جهة المعرفة والتحكم بها، ودليلنا على ذلك أنها تتحكم بشبكة المعلومات الدولية تحكماً كاملاً، وتدمر المواقع التي تنشر معلومات لا تقبلها، وقد شهدنا أكثر من مرة قيام المخابرات الأمريكية بتدمير حواسيب مواقع في الولايات المتحدة لأنها تنشر معلومات للشعب الأمريكي عن حقائق السياسة الأمريكية وعن حقائق العرب التي يجهلها الغرب... وغير ذلك كثير مما يستحق الذكر.

٣١ ــ الفكرة في المبدأ جميلة جليلة، ولكن كونها مبادرة أمريكية فهي موضع شكٍّ لأننا لا نثق أبداً في النوايا الأمريكية، ولذلك يجب أن نتذكر هنا جيداً أنّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة كانت تمنع عن العراق مثلاً، قبل احتلاله، استيراد أقلام الرصاص خشية استخدام الفحم الموجود فيه في صناعة ما، وكانت تمنع عن العراق الإنترنت والاتصالات شبه المتطورة.. وتقول في وسائل إعلامها إنّ صدام حسين يمنع شعبه من استخدام الهاتف الخليوي، ويحرم شعبه من الإنترنت....

مبادرة تدريس إدارة الأعمال

لمجموعة الثماني في سياق السَّعي إلى تحسين مستوى إدارة الأعمال في عموم المنطقة إقامة الشَّراكات بَيْنَ مدارس الأعمال في دول مجموعة الثماني والمعاهد التَّعليميَّة من جامعات ومعاهد متخصِّصة في المنطقة. وبمقدور مجموعة الثماني تمويل هيئة التَّعليم والمواد التَّعليميَّة في هذه المعاهد المشتركة، الَّتي تمتدُّ برامجها من دورة تدريبيَّة لمدَّة سنةٍ للخريجين إلى دورات قصيرةٍ تدور على مواضيع محدَّدة، مثل إعداد خطط العمل للشَّركات أو استراتيجيات التَّسويق.

النَّموذج لهذا النَّوع من المعاهد قد يكون معهد البحرين للمصارف والمال، وهو مؤسَّسة بمدير أمريكيٍّ ولها علاقة شراكةٍ مع عددٍ من الجامعات الأمريكيَّة.

توسيع الفرص الاقتصادية

تحسير الهوة الاقتصاديَّة للشَّرق الأوْسَط الكبير يتطلب تحوُّلاً اقتصاديًّا يشابه في مداه ذلك الذي عملت به الدُّول الشِّيوعيَّة سابقاً في أوروبا الشَّرقية. وسيكون مفتاح التَّحول إطلاق قدرات القطاع الخاص في المنطقة، خاصَّة مشاريع الأعمال الصَّغيرة والمتوسِّطة الَّتي تشكِّل المحرِّكات الرَّئيسة للنُّمو الاقتصاديِّ وخلق فرص العمل. وسيكون نمو طبقةٍ متمرسةٍ في مجال الأعمال عنصراً مهمًّا لنمو الدِّيمُقراطيَّة والحريَّة. ويمكن لمجموعة الثماني في هذا السِّياق اتِّخاذ الخطوات التَّالية:

مبادرة تمويل النمو

تقوية فاعليَّة القطاع الماليِّ عنصرٌ ضروريٌّ للتَّوصُّل إلى نسبٍ أعلى للنُّمو وخلق فرص العمل. ولمجموعة الثَّماني أن تسعى إلى إطلاق مبادرة ماليَّةٍ متكاملةٍ تتضمَّن العناصر التَّالية:

- **إقراض المشاريع الصغيرة**: هناك بعض المؤسَّسات المختصَّة بتمويل المشاريع الصَّغيرة في المنطقة لكنَّ العاملين في هذا المجال ما يزالون يواجهون ثغراتٍ ماليَّةً كبيرةً. إذ لا يحصل على التَّمويل سوى خمسة في المئة من السَّاعين اليه، ولا يتم عموما تقديم

أكثر من ٧% من مجموع المال المطلوب في هذا القطاع. وبإمكان مجموعة الثماني المساعدة على تلافي هذا النّقص من خلال تمويل المشاريع الصغيرة، مع التّركيز على التّمويل بهدف الرّبح، خصوصاً للمشاريع الّتي تقوم بها النّساء. مؤسّسات الإقراض الصّغير المربح قادرةٌ على إدامة نفسها ولا تحتاج إلى تمويلٍ إضافيٍّ للاستمرار والنُّمو. ونقدّر أنّ في إمكان قرض من ٤٠٠ مليون دولار إلى ٥٠٠ مليون دولار يدفع على خمس سنوات مساعدة ١.٢ مليون ناشط اقتصادي على التّخلُّص من الفقر، ٧٥٠ ألفاً منهم من النّساء[٣٢].

● **مؤسسة المال للشرق الأوْسَط الكبير**: باستطاعة مجموعة الثّماني المشاركة في تمويل مؤسّسة على طراز مؤسّسة المال الدوليّة للمساعدة على تنمية مشاريع الأعمال على المستويين المتوسّط والكبير، بهدف التّوصُّل إلى تكاملٍ اقتصاديٍّ لمجال الأعمال في المنطقة. وربّمَا الأفضل إدارة هذه المؤسّسة من قبل مجموعةٍ من قادة القطاع الخاص في مجموعة الثّماني يقدّمون خبراتهم لمنطقة الشّرق الأوْسَط الكبير.

● **بنك تنمية الشّرق الأوْسَط الكبير**: في إمكان مجموعة الثماني ومشاركة مقرضين من منطقة الشّرق الأوْسَط الكبير نفسها، إنشاء مؤسّسة إقليميّة للتّنمية على غرار المصرف الأوروبي للإعمار والتّنمية لمساعدة الدُّول السّاعية إلى الإصلاح على توفير الاحتياجات الأوليّة للتّنمية. كما تستطيع المؤسّسة الجديدة توحيد القدرات الماليّة لدول المنطقة الأغنى وتركيزها على مشاريع لتوسيع انتشار التّعليم والعناية الصّحيّة والبنى التّحتيّة الرّئيسة. ولمصرف تنمية الشّرق الأوْسَط الكبير هذا أن يكون

---

٣٢ ــ حكاية المصرف الدولي ولعبة الإقراض باتت معروفة مفضوحة، وهي لا تقصد إلى مساعدة الدول النامية بقدر ما تقصد إلى تكبيله بالديون للسيطرة عليه، وفرض شروط خاصّة في استثمار المال المقترض لا تخدم أيّ نشاط تنموي على الإطلاق، وكلُّ الاختصاصيين يعرفون ذلك جيّداً، وما محاولة الولايات المتحدة من خلال الدول الثماني في عملية الإقراض هذه إلا حلولاً محل المصرف الدولي، والبند التالي يوضح ذلك جيداً وصراحةً.

مذخّراً للمساعدة التقانيّة واستراتيجيات التّنمية لبلدان المنطقة. اتخاذ قرارات الإقراض أو المنح يجب أن تتحدّد بحسب قدرة البلد المقترض على القيام بإصلاحات ملموسة.

● **الشراكة من أجل نظام مالي أفضل:** بمقدور مجموعة الثماني، توخيًّا لإصلاح الخدمات الماليّة في المنطقة وتحسين اندماج بلدانها في النّظام الماليّ العالميّ، أن تعرض مشاركتها في عمليّات إصلاح النُّظم الماليّة في البلدان المتقدّمة في المنطقة. وسيكون هدف المشاركة إطلاق حريّة الخدمات الماليّة وتوسيعها في عموم المنطقة، من خلال تقديم تشكيلةٍ من المساعدات التّقنيّة والخبرات في مجال الأنظمة الماليّة مع التّركيز على:

- تنفيذ خطط الإصلاح الّتي تخفض سيطرة الدّولة على الخدمات الماليّة.
- رفع الحواجز عن الّتعاملات الماليّة بَيْنَ الدُّول.
- تحديث الخدمات المصرفيّة.
- تقديم الوسائل الماليّة الدّاعمة لاقتصاد السُّوق وتحسينها وتوسيعها.
- إنشاء الهياكل التّنظيميّة الدّاعمة لإطلاق حريّة الخدمات الماليّة.

مبادرة التجارة

إنّ حجم التّبادل التّجاري في الشّرق الأوْسَط متدنٍ جدًّا، إذ لا يشكّل سوى ستة في المئة من كلّ التّجارة العَرَبيّة. ومعظم بلدان الشّرق الأوْسَط الكبير تتعامل تجارياً مع بلدان خارج المنطقة، وتوصّلت إلى اتفاقاتٍ تجاريّةٍ تفضيليّةٍ مع أطراف بعيدةٍ جدًّا بدلاً من جيرانها. ونتيجة لذلك، أصبحت الحواجز الجمركيّة وغير الجمركيّة هي الشّيء المعتاد، فيما ما تزال التّجارة عَبْرَ الحدود شيئاً نادراً. ويمكن لمجموعة الثّماني أن تنشئ مبادرةً جديدةً مصمّمةً لتشجيع التّجارة في الشّرق الأوْسَط الكبير، تتألف من العناصر التالية:

الانضمام/ التنفيذ على صعيد منظمة التجارة الدولية وتسهيل التجارة: يمكن لمجموعة الثّماني أن تزيد تركيزها على انضمام البلدان في المنطقة إلى منظمة

التِّجارة الدُّوليَّة[٣٣]. وستتضمَّن برامج محدَّدة للمساعدة التقنيَّة توفير مستشارين يعملون في البلد ذاته في شأن الانضمام إلى منظمة التِّجارة الدُّوليَّة وتحفيز التزام واسع من مجموعة الثماني لتشجيع عمليَّة الانضمام، بما في ذلك تركيز الاهتمام على تحديد الحواجز غير الجمركيَّة وإزالتها. وحالما ينجز الانضمام إلى منظمة التِّجارة الدُّوليَّة، سيتحوَّل مركز الاهتمام إلى توقيع التزاماتٍ إضافيَّةٍ لمنظمة التِّجارة الدُّوليَّة، مثل الجوانب التِّجاريَّة لحقوق الملكيَّة الفكريَّة، واتفاق مشتريات الحكومة، وربط استمرار المساعدة التقنية بتنفيذ هذه الالتزامات الخاصَّة بمنظَّمة التِّجارة الدُّوليَّة. ويمكن لهذه المساعدات التقنية أن تربط أيضاً ببرنامج على صعيد المنطقة برعاية مجموعة الثماني بشأن التَّسهيلات والجوانب الإمداديَّة المتعلقة بالرُّسوم الجمركيَّة للحدِّ من الحواجز الإداريَّة والماديَّة بوجه التَّبادل التِّجاريِّ بَيْنَ بلدان المنطقة.

المناطق التجارية: ستنشئ مجموعة الثماني مناطق في الشَّرق الوسط الكبير للتَّركيز على تحسين التَّبادل التِّجاري في المنطقة والممارسات المتعلقة بالرُّسوم الجمركيَّة. وستتيح هذه المناطق مجموعةً متنوِّعةً من الخدمات لدعم النَّشاط التِّجاري للقطاع الخاص والصِّلات بَيْنَ المشاريع الخاصَّة، بما في ذلك التَّسوق من منفذٍ واحدٍ للمستثمرين الأجانب، وصلات مع مكاتب الجمارك لتقليل الوقت الذي يستغرقه إنجاز معاملات النَّقل، وضوابط موحَّدةٍ لتسهيل دخول السلع والخدمات وخروجها من المنطقة.

مناطق رعاية الأعمال: بالاستناد إلى النَّجاح الذي حقَّقته مناطق التَّصدير ومناطق التِّجارة الخاصَّة في مناطق أخرى، يمكن لمجموعة الثَّماني أن تساعد على إقامة مناطق محدَّدةٍ خصيصاً في الشَّرق الأوْسط الكبير تتولَّى تشجيع التَّعاون الإقليميِّ في

---

٣٣ ــ البلدان الَّتي قَدَّمَتْ طلباً للانضمام إلى منظمة التِّجارة الدُّوليَّة (شكِّلت لجنة عمل تابعة للمنظمة): الجزائر ولبنان والسعودية واليمن. بلدان قدمت طلباً للانضمام (لم يُنظر بعد في الطلب): أفغانستان وإيران وليبيا وسورية. بلدان طلبت منحها صفة مراقب: العراق. (الحاشية من جريدة الحياة).

تصميم المنتجات وتصنيعها وتسويقها. ويمكن لمجموعة الثّماني أن تعرض منافذ محسَّنة إلى أسواقها لهذه المنتجات، وتقدِّم خبراتها في إنشاء هذه المناطق.

منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوْسَط الكبير: لتشجيع التّعاون الإقليميِّ المحسَّن، يمكن لمجموعة الثّماني أن تنشئ منبر الفرص الاقتصاديَّة للشَّرق الأوْسَط الذي سيجمع مسؤولين كباراً من مجموعة الثّماني والشَّرق الأوْسَط الكبير (مع إمكان عقد اجتماعاتٍ جانبيَّةٍ لمسؤولين وأفراد غير حكوميين من وسط رجال الأعمال) لمناقشة القضايا المتعلقة بالإصلاح الاقتصاديِّ. ويمكن للمنبر أن يستند في شكلٍ مرنٍ على أنموذج رابطة آسيا ــ المحيط الهادئ للتّعاون الاقتصاديِّ (أوبك)، وسيغطّي قضايا اقتصاديَّة إقليميَّة، من ضمنها القضايا الماليَّة والتِّجاريَّة وما يتعلّق بالضَّوابط[٣٤].

مناقشة

الحقيقة أنَّ المشروع يقدِّم نفسه بوضوحٍ من دون أيِّ مناقشةٍ، وقد أضفنا بعض الحواشي والتّعليقات على النَّصِّ للفت الانتباه إلى ما يمكن أن يدلَّ عليه النَّصُّ ويشير إليه من حقائق ومقاصد ودلالاتٍ استناداً إلى ممارسات غربيَّة سابقةٍ شهيرةٍ. ومع وضوح الحقائق ثَمَّةَ من لا يريد أن يفهم إلا ما يريد أن يفهمه أو ما يصرُّ على ألاَّ يفهمه إلا كما قرَّر هو مسبَّقاً.

نحن لا ننكر أبداً أنَّ بعض المعطيات وربَّما أكثرها صحيحٌ، أعني صحيحٌ أنَّنا متخلِّفون اقتصاديًّا، ومعرفيًّا، ومكتباتنا فقيرةٌ جدٌّ فقيرة، ومنشوراتنا تقف في المرتبة

---

٣٤ ــ هنا لا بد أن نتساءل أيضاً: هل الولايات المتحدة وأوروبا جادّة فعلاً في فتح أسواقها أمام البضائع العربيَّة، وهل ستسمح لها بمنافسة أيِّ بضاعة أمريكية أو أوروبيَّة، وخاصَّة منها التقانيَّة؟! إنه أمر ليس موضع شكٍّ وحسب، إنه غير ممكن أبداً. المقصود هنا كما قال اقتصاديٌّ برازيليٌّ منذ زمن غير قريب: «إنَّ الولايات المتحدة تريد تحويل مصانع الدبابات والصواريخ البرازيلية إلى مصانع أحذية للجنود الأمريكيين». وما تريده الولايات المتحدة وأوروبا من الوطن العربي هو أن يصنع لها الألبسة والأغذية والأشياء التي يرون العمل فيها إضاعة للوقت.

الأخيرة كمًّا وربَّما نوعاً، ونستورد التقانة ولا نصنعها، والفساد ضارب أطنابه في شعابنا وشعوبنا... ولكن السُّؤال الذي يطرح ذاته بقوَّة هو: ما الذي تستفيده الولايات المتحدة من تطويرنا؟ وهل من مصلحتها فعلاً أن نكون متطوِّرين أقوياء اقتصاديًّا وعلميًّا ومعرفيًّا؟!

كلُّ ما مضى من تاريخ العلاقة بَيْنَ الشَّرق والغرب، والواقع الرَّاهن المنتبج بالشَّواهد والأدلَّة والممارسات العدائيَّة الوحشيَّة من الغرب للشَّرق... يقول إنَّهُ من غير الممكن أن يسمح الغرب لنا بأن نمتلكَ أيَّ فرصة قوَّةٍ حقيقيَّةٍ في أيِّ ميدان من الميادين، حتَّى في الرِّياضة التي لا تقدِّم ولا تؤخِّر في شيءٍ، فكيف يمكن أن يكون في غيرها من الميادين؟ ولذلك لا يمكن أن نفهم أنَّ مشروع الشَّرق الأوسط الكبير مشروعٌ فيه أيُّ مصلحة للعرب إلا عَرَضاً وبالضَّرورة التي لا معدَّى عنها. وإذا كانت دلالات العداء والتَّغيير في المنطقة العربيَّة لصالح العالم الغربيِّ واضحةً إلى حدٍّ كبيرٍ في هذا المشروع فإنَّ ذلك لا يكفي، ويجب أن نتعمَّق في قراءة المشروع في إطار المشروع الغربيِّ للوطن العربيِّ.

بدأ التَّقرير باعترافٍ صريحٍ يحدِّد الغاية من المشروع، فهو يقول: «يمثِّل (الشَّرق الأوْسَط الكبير) تحدِّيًا وفرصةً فريدةً للمجتمع الدُّولي». والشَّرق الأوسط الكبير وَفْقَ التَّحديد الأمريكيِّ أو الغربيِّ هو إمَّا الوطن العربيُّ بالقصد المباشر أو العالم الإسلاميُّ بالتَّحديد العام، وفاتحة مشروع الشَّرق الأوسط الكبير تقرُّ بأنَّ هذه المنطقة، بالمعنيين، تمثِّل تحدِّيًا، وفرصةً فريدةً للمجتمع الدُّولي. فكيف يمكن أن نفهم ذلك؟

أن تكون هذه المنطقة تحدِّيًا للمجتمع الدُّولي فإنَّ هذا يعني أنَّ المجتمع الدُّولي، الغرب، يريد أن يقضي على هذا التَّحدي، أو يضع حدًّا له، أو يحاصره، أو يحتويه، أو يتحكم به، أو يحقِّق ذلك كلَّه معاً. وهل يمكن أن يكون المقصود أو المراد هو إصلاح ما فسد في هذه المنطقة وتحسين حالها وتقويتها؟!

أمّا تتمة الجملة التي تقول: إنّ هذه المنطقة فرصة فريدةً للمجتمع الدُّولي، فلسنا بحاجةٍ لتبيان أنّ الغرب يرى نفسه أنَّهُ هو المجتمع الدُّوليّ، وهو المجتمع الإنسانيُّ. ومع ذلك فلن نبني على هذا الاعتقاد، لأنَّ المسألة لا تحتاج إلى ما تستند إليه ليتمَّ فهمها، فأن يكون الشَّرق الأوسط فرصةً للمجتمع الدُّوليّ يعني لغةً ومنطقاً أنَّ الشَّرق الأوسط هذا موضوعٌ والمجتمع الدُّوليّ ذاتٌ، وأنّ الشَّرق الأوسط من خارج المجتمع الدُّوليّ، وأن يكون فرصةً فريدةً له يعني وَفْقَ الواقع إما أنَّ هذه المنطقة فَيها غنًى كبيرٌ هو فرصة يجب أن يستثمرها الغرب قبل فوات الأوان، أو أنَّ هذه المنطقة في غفلةٍ وفرصةُ الغرب/ المجتمع الدُّوليّ أن يقوم باستثمار هذه الغفلة والضَّعف ليصنع ما يشاء قبل فوات الأوان، أو أن يعني الأمرين معاً وهو الأرجح.

وعلى هذا الأساس نسأل مثلاً: على افتراض أنَّ الأرقام التي ذكرها التَّقرير صحيحةً، ولنقل إنَّهَا صحيحةٌ، فماذا يعنيهم، وبماذا يفيدهم أو يضرُّهم إن كان ٦% أو ٩٦% من العرب يستخدمون شبكة المعلومات/ الإنترنت؟ وماذا يفيدهم أو يضرهم إن كان ٣% من النِّساء يشغلن مقاعد برلمانيّة أو ٩٣%؟ وما شأنهم في ذلك؟

ومن جهة أخرى إذا دلَّت هذه «الإحصاءات أنَّ المنطقة تقف عند مفترق طرق». و«مَثَّل ذلك تهديداً مباشراً لاستقرار المنطقة»، فبماذا يضرُّهم ذلك، وما مصلحتهم في استقرار المنطقة؟ معظم مناطق العالم غير مستقرَّة فلماذا لا يصرفون مثل هذه العناية إلى مناطق العالم الأخرى التي لا تخلو من التَّوتُّر وعدم الاستقرار؟ ولماذا لا يصرفون عنايتهم إلا لهذه المنطقة؟

إنَّ المقصود في حقيقة الأمر هو بقاء إسرائيل شوكةً في حلق المنطقة، ليس من أجل إسرائيل وإنَّما من أجل بقاء المنطقة مشتتةً ضعيفةً، تحت السَّيطرة. والمقصود هو المنطقة العربيَّة تحديداً. والأدلَّة على ذلك كثيرةٌ، منها

مثلاً أنَّ المشروع كما ينصُّ ذاته في ديباجته وفي تفاصيله قد استند إلى تقريري التّنمية البشريَّة للعالم العربيِّ، والأرقام مرتبطةٌ بالعالم العربيِّ، فلماذا وبأيِّ حقٍّ ضمَّ الدُّول الأخرى إلى هذه الخريطة؟

يبدو أنَّ الجواب في المراد. والمراد هو الوطن العربيُّ تحديداً، ما ضَمُّ دول المنطقة إلاّ لتكريس تذرير المنطقة وتفتيتها وتشتيتها، ومحو اسم العروبة عنها ليكون وجود الكيان الصهيوني مشروعاً. وقد تبيَّن أنَّ الولايات المتَّحدة هي التي وقفت وراء مشروع تقارير التّنمية البشريَّة التي أخذَت الصَّدى الواسع في أول عامين ثُمَّ آل المشروع إلى الاندثار، وكأنَّهُ بُنيَ كلُّه ليستند إليه مشروع الشَّرق الأوسط الكبير... وربَّما يدفعنا هذا للتَّساؤل عن حقيقة ما تضمَّنته هذه التَّقارير على كثير صحَّة ما فيها...!!!

خاتمة

مشروع الشَّرق الأوسط الكبير هو آخر ما تفتَّقت عنه العقليَّة الغربيَّة للمنطقة العربيَّة، ولن يكون ختام هذه المشاريع، كما أنَّهُ لم يكن أولها.

الحقيقة أنَّ المشروع ليس جديداً أبداً في مبدئه وصورته وغايته. إنَّهُ حلقة في سلسلة مشاريع بدأها الغرب مُنْذُ أواسط القرن التاسع عشر على الأقل من أجل إضعاف العرب وتجزئتهم وتفتيتهم وشغلهم ببعضهم بعضاً وبمشكلات لا حدَّ لها ولا نهاية من أجل الحفاظ على ما هم عليه من ضعف وهوان وعجز عن الفعل.

بدأ الغرب بترويج عبارة الشَّرق الأوسط مُنْذُ مطالع القرن العشرين، تزامناً مع بجء العمل بالمشاريع والمخططات التي أعدت للوطن العربي من تجزيء وتفتيت وزرع الكيان الصهيوني. وتمَّ اختراع هذا الاصطلاح من أجل نزع الهويَّة القومية العربية عن المنطقة، وتحويلها إلى قوميات وأعراق، وقد اخترع هذا الاصطلاح عن قصد في أغلب الظنِّ، وفي احتمال ضعيف من دون قصد مسبق تَمَّ استثماره مع الانتباه إلى مضمونه وفائدته.

مشـــروع الشَّـــرق الأوســـط الكـــبير امتـــدادٌ للشَّـــرق الأوســـط مـــع إضافة التَّطـــوُّرات الـــتي حصـــلت طيلـــة القـــرن العشـــرين، والاســـتفادة مـــن إخفاقـــات الغـــرب في تنفيـــذ مشـــروعه، والاســـتفادة ممـــا نجحـــوا في الاستفادة منه في محاولاتهم وتجاربهم السَّابقة.

ولـــذلك ســـتكون هنـــاك مشـــاريعُ جديـــدةٌ بتطـــوراتٍ جديـــدةٍ ومعطياتٍ جديـــدةٍ تســـتفيد مـــن إخفاقـــات اليـــوم والماضـــي، وتـــبني علـــى نجاحـــات اليـــوم والماضـــي، ســـيظلُّ الغـــرب يخطِّـــط ويـــدبِّر ويـــنجح ويخفـــق... فمـــتى نخطِّـــط نحـــن، ومـــتى نكـــف عـــن ممارســـة دور متلقـــي الصَّدمات ونتحوَّل إلى صانعي صدمات؟